١- الاختلال الأسري

الاختلال الأسري من أهم أسباب فساد الأبناء، فتربية الأبناء مسؤولية مشتركة بين الأبوين، ومن مظاهر الاختلال:

١- عدم الاتفاق في الرؤية:

وهي عدم اتفاق الزوجين على رؤية واحدة في تربية الأبناء من حيث الالتزام، فحين تجد طرفًا يحرص كل الحرص على التزام أبنائه تجد الطرف الآخر لا يلقي لهذا الأمر بالًا، فللأسف هذا الطرف يكافح كفاح الخمسين في المائة، وهذا المثال يتضح في امرأة نوح حين كانت السبب في هلاك ابنها حين ظن أن عقيدة أمه وقومه جبل سيعصمه من الماء ولكنه غرق في أوحال الكفر والضلال.

٢- تفاوت درجة الالتزام:

وذلك حين تجد الأب ملتزمًا بشرائع الله ويخشى الله ويتقيه، وتجد الأم أقل درجة، أو دون المستوى في الالتزام، أو العكس، وضعف مستوى الالتزام يتمثل في التفريط في الطاعات وارتكاب

المعاصي والنواهي كمشاهدة الأفلام والمسلسلات، مما يجعل هذا الأمر أمرًا عاديًّا عند الطفل، فكيف يرجى من هذا الطفل التزاما!!.

ولكي ننضع أيدينا على العلاج لابد من معرفة مكمن الداء، ألا وهو عدم الاختيار الصائب للزوجة أو الزوج؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل المعيار الأساسي هو الدين فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(١)، وهذا ليس معناه إهمال الجمال وحسن النسب، ولكن جعل معيار الدين سابقًا لتلك الصفات، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٢).

فلماذا حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل هذا الحرص على أن يكون الدين هو المعيار الرئيس للاختيار؟!؛ لأنه يحرص على إقامة عملية تربوية ناجحة ومتوازنة، لا أن يبني شخصًا ويهدم آخر، فحين يكون

(١) «صحيح البخاري» [٥٠٩٠]، «صحيح مسلم» [١٤٦٦].
(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٢٧٠].

الأب والأم ملتزمين بشريعة الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجد البناء مكتملًا، فعلى سبيل المثال لما توافرت الظروف التربوية السليمة لسيدنا إسماعيل في أسرة يدفع فيها الأب والأم في إتجاه واحد نشأ نشأة صالحة أوصلته إلى طاعة والده في أمر ذبحه؛ لأنه امتثال لأمر الله، ولا ننس أن لكل قاعدة شواذ.

أما المتزوجين فعليهم أن يحاولوا الاتفاق على خطوط مشتركة في تربية الأبناء حيث أن مسؤولية التربية تقع على عاتقهما وليست لأحد دون الآخر، ونلفت النظر إلى أنه من غير المتوقع أن يكون هناك اتفاق دائمًا بين الزوجين حول كيفية التعامل مع الأبناء، ومن الطبيعي أن يختلف الزوجان، ولكن المهم أن يصلوا لأرضية مشتركة وخطوط عامة[1].

«وقد تبين علميًّا أن اتفاق الوالدين ووحدتهما في الفكر يؤثر إيجابيًّا في مستقبل الأبناء... ومن جهة أخرى فإن وحدة الفكر لدى الوالدين تؤثر في طريقة تربية الأبناء والتنسيق بينهما بهذا الشأن،

(١) من مقالة بعنوان «أكبادنا تمشي على الأرض». Islammemo.cc

فإذا أصر أحدهما على أمر فعلى الآخر ألا يناقضه، بل يجب أن تكون الأوامر مدروسة بينهما سلفًا، حتى يشعر الأطفال بأن الأبوين ينهجان سياسة تربوية واحدة»[1].

هكذا التوازن:

عندما سمع أبو الدحداح الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾.

[البقرة: ٢٤٥]

فسأل رسول الله: آلله يستقرضنا؟ فيرد المربي العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم يا أبا الدحداح**» فيقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرني يدك يا رسول الله فإني أقرضت ربي حائطي. وحائطه ذلك يومئذ من أجمل بساتين المدينة، وأحب ماله إلى قلبه، فيذهب إلى حائطه وينادي على زوجه أن أخرجي يا أم الدحداح، فقد أقرضت ربي حائطي، فتعمد الزوجة الصالحة إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم من ثمر البستان وهي ترد على زوجها: «**ربح البيع أبا**

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[١١٥].

الدحداح، ربح البيع أبا الدحداح» فيبشرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ»**[1].

والشاهد هنا تعاون الزوجة مع زوجها في الطاعة وتربية الأبناء على البذل والعطاء، فما إن جاءها زوجها وقال لها: أخرجي فقد أقرضت ربي حائطي، فقالت وهي تكمل البناء التربوي: ربح البيع أبا الدحداح، وزيَّنت البناء وهي تنفض ما في أكمامها وتخرج ما في أفواه أطفالها من ثمر البستان.

دور الجينات:

حُسن اختيار الصفات من المعايير التي حددها رسول الله في أمر اختيار الزوج أو الزوجة فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فإن العرق دساس»**[2]، أو ما يسمى الآن بالعوامل الوراثية أو «الجينات»، فالتعبير بلفظ دساس تشير إلى انتقال الصفات والأخلاق من الآباء إلى الأبناء، ويؤيد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا

(١) «مسند الإمام أحمد» [١٢٤٨٢].

(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٢٩٢٨].

أسود، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قال: نعم، قال: «**فَمَا أَلْوَانُهَا؟**» قال: حمر، قال: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**» قال: إن فيها لَوُرْقًا، قال: «**فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟**» قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «**وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[1] وعليه فقد دعا الإسلام إلى الاختيار الجيد في الصفات والأخلاق تحسينًا للنسل.

«وقد أثبت علماء الأحياء أن بالخلية خيوطًا اسمها الصبغيات أو الكروموسومات، وأن هذه الخيوط يمكن تقسيمها إلى مناطق متعددة وافترضوا على ضوء الحقائق العلمية أن على كل منطقة منها ما يسمى بالجينات، وأثبت علماء الوراثة أن هذه الجينات هي حوامل الاستعدادات الوراثية، فالخلية الناتجة بعد التلقيح تحمل كروموسومات جينات بعضها من ناحية الأم وجينات بعضها من ناحية الأب، ثم تبدأ الخلية تتكاثر مكونة الجنين»[2].

(١) «صحيح مسلم» [١٥٠٠].

(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١١٩].

أيضًا حث الإسلام، اجتنابًا للأمراض والعيوب الوراثية، الابتعاد عن الزواج من ذي القرابة الشديدة، فقد قيل: «اغتربوا ولا تضووا» أي لا تضعفوا.

فعند الاختيار يجب أن يراعي هذا الجانب ودوره في تكوين صفات وأخلاق الأبناء؛ فإن له نصيبًا وافرًا في تشكيل السلوك والصفات.

obeikandl.com